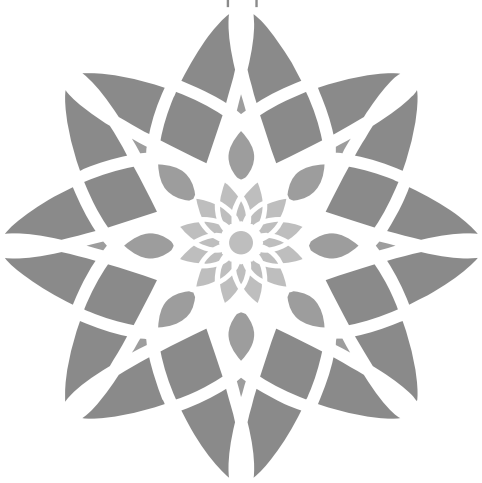


الباب الثاني:

السيرة النبوية.

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾

[الأحزاب: ٢١]

مقدمة

وصل البشر في فترة انقطاع الرسل (بين عيسى ومحمد عليهما السلام) إلى درجة كبيرة من التخبط والضياع، فكانت رسالة محمد ﷺ، وهي جامعة الرسالات وخاتمتها، وناسخة لما قبلها، وكانت لبني البشر كافة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[سبأ:٢٨]. وهي لكل زمان ومكان، لذا لا بد أن يكون صاحبها على درجة تؤهله لحمل هذه الرسالة، فاختاره الله بمميزات خاصة.

مميزات محمد ﷺ(١):

١- اختاره الله من العرب وهي أمة وسط، وجعله في قريش أفضل قبائل العرب، وجعل نسبه في أشرف قريش (بنو هاشم).

٢- بلاده في موقع وسط، يمكن أن تنطلق منها الدعوة إلى جميع الجهات.

٣- اختاره الله من أمة قل أنبياؤها، لتكون له قيمة عظيمة.

٤- بعثه الله على فترة متباعدة من الرسل، لتتهيأ له النفوس، وتنتظره. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[المائدة: ١٩].

٥- أخبر الله في الكتب السماوية بمبعثه ﷺ.

٦- اختاره الله من شعب أقرب إلى البداوة التي لم تفسدها المدنية والحضارة.

٧- اختاره الله من شعب أمي، لم يعرف الفلسفة والمعارف والعلوم.

٨- جعل الله سيرته معروفة تمامًا بكل تفاصيلها، حتى يكون قدوة لغيره.

٩- سيرته جامعة تشمل جميع نواحي الحياة.

١٠- سيرته عملية، وواقعية، ويستطيع الناس ممارستها في كل زمان ومكان.

---

(١) السيرة، محمود شاكر (ص ٢٥).

الفصل الأول
النشأة الشريفة

فترة الطفولة:

نسبه: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) بن مالك بن النضر ابن كنانه. من ولد نزار بن معد بن عدنان وهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم، وأمة آمنة بنت وهب الزهرية القرشية.

مولده: ولد في مكة، في عام الفيل، حوالي عام (٥٧٠ م/ ٥٢ ق.هـ) وهو نفس العام الذي حاول فيه أبرهة حاكم اليمن هدم الكعبة، فأهلكه الله وجنده بالطير الأبابيل التي رمتهم بحجارة من سجيل، والقصة في سورة الفيل.

تُوفي أبوه وهو جنين لم يخرج للدنيا بعد، وبعد مولده سماه جده عبد المطلب محمدًا، أخذته حليمة السعدية إلى مضارب بني سعد وتولت رضاعته، ثم توفيت والدته بعد أن أكمل ست سنوات.

لقد شاء الله فيما يبدو أن يتولى هو تربية محمد، وأن ينزعه من أسرته ليصبح في رعاية الله تمهيدًا للأسرة الكبيرة التي سيكون محمد ﷺ زعيمها. وقد عبر القرآن عن هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾[الضحى:٦]. وقال الرسول ﷺ عن نفسه: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**».

رعاية جده عبد المطلب: هو من سادات قريش. وهو الذي أعاد حفر بئر زمزم، ونازعته قريش، فعز عليه ذلك، ونذر إن رزقه الله بعشرة بنين وبلغوا أن يمنعوه أن ينحر أحدهم لله، فلما تحقق ذلك، وقع الاختيار على عبد الله (والد الرسول ﷺ).

فأراد التنفيذ، فمنعته قريش، واقترع إبلًا بدلًا من عبد الله حتى وصل عددها إلى المائة فنحرها وفدى عبد الله، فكان الرسول ﷺ يقول عن نفسه: «**أنا ابن الذبيحين**» عبد الله وإسماعيل.

تولى جده رعايته حتى بلغ الثامنة، فتُوفي، فتولى عمه أبو طالب رعايته.

رعاية عمه: تولى رعايته منذ الثامنة من عمره، وإلى السنة العاشرة من البعثة. وكان عمه قليل المال، كثير العيال، فعمل راعيًا ليساعده، قال الرسول ﷺ: «**ما بعث الله نبيًا قط إلا رعى الغنم**»، **فقالوا: وأنت؟ قال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»**[1].

لما بلغ الثانية عشر من عمره خرج به عمه إلى الشام في تجارة، فرآه بحيرا (الراهب) وأمر عمه أن لا يقدم به إلى الشام خوفًا عليه من اليهود، حيث سيكون له شأن عظيم، فأعاده وازداد حرصه عليه.

مرحلة الشباب:

شارك مجتمعه في الأمور العامة:

١- حروب الفجار (٤٣ ق.هـ/ ٥٨٠م - ٣٣ ق.هـ/ ٥٩٠م):

جرت بين كنانة (ومنها قريش) وقيس غيلان في الأشهر الحرم، حضرها وهو في سن العشرين.

٢- حلف الفضول:

تعاهدت فيه قريش ألا تجد بمكة مظلومًا إلا نصروه، واشترك مع عمومته في ذلك الحلف.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل.

٣- التجارة والزواج:

لما بلغ الخامسة والعشرين، خرج إلى الشام في تجارة لخديجة وبعد عودته طلبته للزواج، لما رأت فيه من رجولة وصدق وأمانة، فتزوجها، فهي أول زوجاته، وأم أبنائه، وأول امرأة أسلمت، ولم ينكح عليها غيرها في حياتها، أمره جبريل: «**أن يقرأ عليها السلام من ربِّها، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب**»، ولها فضائل كثيرة رضي الله عنها.

٤- تحنثه في غار حراء:

حبب إليه الخلاء، فكان يكره أوثان قومه، فيخلو بغار حراء يتعبد ويتفكر في هذا الكون، أنبته الله نباتًا حسنًا، فكان أفضل قومه في خلقه حتى أطلقوا عليه: «**الصادق الأمين**».

٥- سلوكه وأخلاقه:

وقد عُرف محمد في جميع مراحل حياته بالخلق الطيب والبعد عن الشبه والخمر ومجالس اللهو. وكان مشهورًا قبل البعثة بالصادق الأمين.

٦- بناء الكعبة:

لما بلغ الخامسة والثلاثين، قامت قريش ببناء الكعبة من جديد لما تضعضعت، فتجزأتها القبائل بينها، فبنوا حتى بلغوا موضع الحجر الأسود، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد رفعه إلى موضعه، ثم اتفقوا أن يحكموا بينهم أول داخل إلى المسجد، فكان محمد ﷺ، فأمر بإحضار ثوب، وأن ترفع كل قبيلة بناحية، ففعلوا، حتى إذا بلغوا موضعه، أخذه ووضعه بيده الشريفة، وبنى عليه، وكان ينقل معهم الحجارة.

٧- ديانة أهل مكة:

كانوا يعبدون الأصنام، وكان يعبدها معظم سكان جزيرة العرب، وأول من أدخلها إلى مكة هو عمرو بن لحي الخزاعي عندما كانت خزاعة تحكم مكة، وقد أحضرها من الشام، فعبدها أهل مكة، ثم عبدتها العرب، ولم يبق من دين إبراهيم سوى تعظيم البيت.





الفصل الثاني
البعثة

بدء الوحي:

قالت عائشة رضي الله عنها: «**أول ما بدأ برسول الله من الوحي: الرؤيا الصادقة، فلا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه**». جاءه جبريل وهو يتحنث بالغار، فقال: اقرأ، قال: «**ما أنا بقارئ**»، فكررها. ثم قال في الثالثة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾...الآية [العلق]. فرجع إلى خديجة مسرعًا يرجف فؤاده وهو يقول: «**زملوني.. زملوني**». فطمأنته، وأكدت له أن ربه لن يخذله لكرم خلقه، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر في الجاهلية. فأخبراه. فقال: «**هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى. ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك**». كان ذلك في رمضان (١٣ ق.هـ).

انقطع الوحي فترة من الزمن، فحزن الرسول ﷺ، ثم عاد إليه جبريل جالسًا على كرسي بين السماء والأرض في هيئته الحقيقة، فارتعب، وعاد إلى خديجة وهو يقول: «**دثروني.. دثروني. فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾... السورة**». فتتابع الوحي بعدها.

أنواع الوحي وتدرج الرسالة:

على شكل رؤيا أو الإلقاء في الروع، أو يتمثل له رجلًا فيخاطبه، أو يأتيه مثل صلصلة الجرس (وهو الأشد عليه)، أو على صورته الحقيقية (وهذا حصل مرتين)، وما أوحى الله إليه فوق السموات ليلة المعراج[1]. وقد تدرجت الرسالة، فنبأه الله بـ (اقرأ) ثم أرسله بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ فأمره أن ينذر أقاربه، ثم قومه، ثم العرب، ثم العالمين.

---

(١) مختصر السيرة، محمد بن عبد الوهاب (ص ٣٥).

مراحل الدعوة:

الدعوة في مكة:

المرحلة السرية (الفردية):

كان أول من آمن به من الرجال صاحبه أبو بكر الصديق، ومن النساء زوجه خديجه ابنت خويلد، ومن الصبيان علي بن أبي طالب. ومن الموالي زيد بن حارثة. استمرت هذه المرحلة ثلاث سنين. كان الرسول يجتمع بالمؤمنين في دار الأرقم بن أبي الأرقم يعلمهم أمور دينهم.

الدعوة الجهرية (العامة):

أنزل الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[الشعراء:٢١٤]. فصعد الرسول ﷺ إلى الصفا ودعا جماعته، فقال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي**»، **قالوا: نعم. ما جربنا عليك كذبًا. قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»** ثم دعاهم إلى الإيمان بالله. فقال عمه أبي لهب: تبًا لك. ألهذا جمعتنا؟، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾...السورة [المسد]. أخذ الرسول ﷺ يدعو أقاربه وجماعته. ثم أنزل الله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾[الحجر:٩٤]. فدعا الناس عامة.

وبدأت عداوة قريش، فحمى الله رسوله بعمه أبي طالب. وأما أصحابه فمن له عشيرة أو جيرة حمته، وأما الآخرين فقد تعرضوا لأشد أنواع العذاب فكان أمية بن خلف يلقي عبده بلال على رمضاء مكة في شدة الحر، ويقول له اكفر. فلا يزيد أن يردد: «أحدٌ.. أحدٌ».

وكان أبو جهل يسوم عمار ووالديه سوء العذاب حتى قتل أمه سمية، فكانت أول شهيدة في الإسلام. وكان الرسول ﷺ يقول لهم: «**صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**». وكان أبو بكر يشتري العبيد المعذبين فيعتقهم، فأعتق بلالًا، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، وغيرهم.

مقاومة قريش للدعوة:

أسباب المقاومة:

- كان الصراع في الجزيرة يدور لأتفه الأسباب. وظهور دين جديد يهاجم معتقداتهم سبب وجيه لمحاربته.
- لم تفرق قريش بين النبوة وبين السيادة والملك. وظنوا أن الدين الجديد يسلم الزعامة لمحمد.
- ولأن الإسلام ساوى بين السادة والعبيد وهذا ما لم يتقبلوه.
- إنكار البعث. حيث أنكروا أن تعاد الحياة للإنسان فيحاسب على أعماله.
- تقليد الآباء. فقد قالوا: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾[المائدة:١٠٤].
- كما ظن أهل مكة أن الكساد سيصيبهم. إذا بطلت عبادة الأصنام وأعرض الحجيج عن مكة[1].

رأت قريش في دعوة محمد غير ما توقعت، فقد بدأت الدعوة تنتشر بين مختلف الفئات والطبقات، فبدأت تشن عليه حربًا شاملة، فكان الرسول ﷺ يدعو الناس في الأسواق والمنازل والأندية والمواسم، ويغتنم موسم الحج فيدعو القبائل. فكانت قريش توجه وراءه من يقول عنه أنه مجنون وساحر. فكان يلقى الصد ممن يدعوهم. اشتد أذى الكفار على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد**» فكانت الهجرة إلى الحبشة.

(١) التاريخ الإسلامي، د. أحمد شاكر، (ص١٩٤، ١٩٧).

الهجرة الأولى إلى الحبشة[1]:

وكانت في السنة الخامسة من البعثة. وكانوا عشرة رجال وخمسة نسوة. وكان أميرهم عثمان بن مظعون. ولقوا هناك حسن المعاملة، وأقاموا عدة شهور، ثم عادوا إلى مكة، لما سمعوا أن قريش أسلمت، فعادت قريش إلى أذاهم.

إسلام حمزة بن عبد المطلب (عم الرسول ﷺ):

أسلم في السنة السادسة من البعثة، حيث علم بعد عودته من رحلة صيد، أن أبا جهل شتم محمدًا، فذهب إليه غاضبًا، وشج وجهه بقوسه وقال له: تشتم ابن أخي وأنا على دينه. لما أسلم حمزة عرفت قريش أن محمدًا عزَّ، فقد كان حمزة أعزَّ فتًى في قريش.

إسلام عمر بن الخطاب:

أسلم في نفس العام، وكان الرسول ﷺ قد دعا: «**اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك**» عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام (أبو جهل)، وبعد إسلامه صار المسلمون يصلون ويطوفون حول الكعبة، لذا كان إسلامه فتحًا للإسلام.

طلب المعجزات:

كان الكفار يطلبون منه المعجزات والآيات لتعجيزه، فمن ذلك طلبوا منه شق القمر، فتحقق ذلك فقالوا: سحر. قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾[القمر:١-٢]. وسألوه أن يجعل الصفا ذهبًا، قال تعالى على لسانهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ۝٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ

(١) السيرة، ابن هشام (١/ ٣٤٣).

﴿تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[الإسراء:٩٠-٩٣].

وهذه لم تتحقق لحكمة أرادها الله. فلو أنها تحققت ثم كذبوا بها، لأتاهم عذاب الاستئصال كما حصل للأمم السابقة.

وكانوا يرسلون إلى أهل الكتاب، يسألونهم عن أمره. قالت لهم اليهود: سلوه عن الروح، وعن رجل طواف، وعن أهل الكهف. فنزلت سورة الكهف وفيها الإجابة. واستمر العناد والضلال.

قول الوليد بن المغيرة في القرآن:

استمع إليه فقال عنه: (والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر. وإن أسفله لمغدق... إلخ)، وقال: (ما هو بمجنون، ولا كاهن، ولا شاعر، هو ساحر)، فأنزل الله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ إلى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[المدثر:١١-٢٦].

كانوا يعلمون صدقه ونبوته، ولكنهم كفروا جحودًا. قال أبو جهل: (تنازعنا وبنو عبد مناف الشرف، وكنا كفرسي رهان. فقالوا: منا نبي. فمتى ندرك هذا. والله لا نسمع له أبدًا).

صور من أذى الكفار للنبي ﷺ:

أخذت قريش تفكر في كل وسيلة للتخلص منه، حتى إنهم جاءوا إلى عمه أبي طالب بعمارة بن الوليد، وهو أحسن فتيان قريش. فقالوا: خذه وادفع إلينا محمد نقتله. فرفض بكل شدة. فهددوا بالحرب إن لم يفعل. فبعث إلى الرسول ﷺ، وأخبره بأمرهم، ونصحه بالكف عنهم. فقال الرسول ﷺ: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك دونه**»، فقال له عمه: والله لا أسلمك أبدًا.

حصار بني هاشم في الشعب:

اجتمع بنو هاشم على نصرة محمد، فقررت قريش مقاطعتهم، فلا بيع، ولا شراء، ولا زواج، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة، فدخل بنو هاشم شعب أبي طالب. ولبثوا ثلاث سنين حتى اشتد عليهم البلاء، حتى أنهم أكلوا من أوراق الشجر، ثم اتفق نفر من قريش على وجوب نقض الصحيفة فواجهوا بذلك قريشًا، وبعث الله (الأرضة) على الصحيفة فأتت عليها ولم تدع إلا: (باسمك اللهم) وأخبر الله رسوله بذلك فأخبر عمه. فأخبر قريشًا واشترط عليهم إنهاء الحصار إذا كان الأمر كذلك، فأخرجوها، ووجدوا كما أخبر، فانتهى الحصار، وعادوا إلى مكة.

الهجرة الثانية إلى الحبشة وإسلام النجاشي:

لما دخل بنو هاشم في الشعب طلب الرسول ﷺ من المستضعفين الهجرة، فهاجروا بإمرة جعفر بن أبي طالب، وكانوا (٨٣ رجلاً و١٩ امرأة). وأرسلت قريش برسالة وهدايا ورسل إلى النجاشي تطلب ردهم فاستمع إلى دفاعهم، فاقتنع أنهم أصحاب حق ورفض ردهم. وكتب الرسول ﷺ إلى النجاشي يدعوه للإسلام فأسلم.

وفاة خديجة وأبي طالب:

كانت وفاتها، بعد انتهاء الحصار بأشهر (في السنة العاشرة من البعثة)، وقد حزن الرسول ﷺ حزنًا شديدًا لذلك. واشتد أذى قريش للرسول ﷺ بعد ذلك؛ إذ كانا يحميانه من كل أذى. وكان أشد قريش إيذاء للرسول عمه أبو لهب وامرأته، وأبو جهل، وعقبة بن معيط. وكان أذاهم يصل إلى درجة ضرب الرسول ﷺ وإلقاء القاذورات عليه أثناء صلاته.

خروجه إلى الطائف:

أخذ الرسول ﷺ يفكر في قاعدة تحمي هذا الدين، فخرج إلى الطائف ودعاهم، فرفضوا وآذوه أشد الإيذاء، وأغروا به سفهائهم، فسبوه ورموه بالحجارة حتى دميت قدماه، فلجأ إلى حديقة لشيبة وعتبة ابني ربيعة، ثم خرج من الطائف، فأرسل الله إليه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الجبلين على أهل مكة، فرفض، وقال: «**بل استأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا**».

الجن تؤمن برسول الله[1]:

عندما صار الرسول ﷺ بمنطقة نخلة (وادي بين مكة والطائف) قام من جوف الليل يصلي، فمر به نفر من الجن فاستمعوا إلى تلاوته، فلما فرغ من صلاته، ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا. وأنزل الله في ذلك سورة الجن.

حادثة الإسراء والمعراج:

أُسري به إلى بيت المقدس راكبًا على البراق، يصحبه جبريل، وصلى بالأنبياء إمامًا، ثم عُرج به إلى السموات، فقابل الأنبياء. ثم صعد إلى سدرة المنتهى، ثم إلى البيت المعمور، ورأى جبريل على صورته، وكلمه ربه وأعطاه ما أعطاه. وفرض الصلاة على أمته. فلما أصبح في قومه وأخبرهم، اشتد تكذيبهم، فوصف لهم بيت المقدس.

وأخبرهم عن عير لهم في الطريق. فأبى الظالمون إلا كفورًا. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[الإسراء:١]. وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا

(١) مختصر السيرة / محمد بن عبد الوهاب (ص ٧٥).

غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[النجم:١-١٨].

وهذه الحادثة تعتبر تكريم للرسول، وتخفيف معاناة أذى الكفار عنه، وقد تعددت الروايات حول هذه الحادثة.

والذي نراه هو ضرورة أن نؤمن بالإسراء والمعراج بصورتها الإجمالية الواردة في القرآن، دون الدخول في التفصيلات.

موافاة المواسم:

كان الرسول ﷺ يذهب إلى المواسم التي تقام في الأسواق مثل عكاظ وذي مجنه وغيرها فيعرض نفسه على القبائل، ويدعوها إلى الله وإلى نصرة دينه، وكذلك يعرض نفسه في مواسم الحج. وكانت قريش تحذر هذه القبائل منه.

بيعة العقبة الأولى:

كان الأوس والخزرج (سكان يثرب) سمعوا من اليهود بخروج نبي في هذا الزمان. فلما رأوه في الموسم عرفوا أنه المقصود. فلقيه ستة من الخزرج وأسلموا على يده، ثم رجعوا إلى المدينة ودعوا إلى الإسلام. وفي العام المقبل، قدم منهم (١٢) رجلًا وامرأة واحدة، فبعث الرسول ﷺ معهم مصعب بن عمير ليعلمهم القرآن والإسلام، فأسلم على يديه أسيد ابن حضير، وسعد بن معاذ سيدا الأوس. وبعد فترة لم تبق دارًا في المدينة إلا وفيها مسلمون، وقرروا دعوة الرسول ﷺ إلى المدينة ونصرته في الموسم المقبل.

بيعة العقبة الثانية وهجرة المسلمين إلى المدينة:

قدموا إليه، فقال لهم: «**أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ولكم الجنة**»، فبايعوه جميعًا ودعوه للهجرة إلى المدينة وكانوا (٧٣) رجلاً وامرأتين، ثم عادوا إلى المدينة.

دعا الرسول المسلمين إلى الهجرة إلى المدينة، فخرجوا فرادى وجماعات، ثم جاء الإذن من الله تعالى له بالهجرة.

عوامل ساعدت على دخول الإسلام إلى يثرب:

وقبل الحديث عن هجرة الرسول نقف وقفة صغيرة. لننظر للظروف التي ساعدت على دخول الإسلام إلى يثرب. ويبدو أن أهمها:

- عرب يثرب كانوا أقرب العرب إلى الأديان السماوية لكثرة ما سمعوا من مجاوريهم اليهود.

- كان يهود المدينة يهددون العرب بقرب ظهور نبي وأنهم سيتَّبعونه ويبيدونهم، لذا كان العرب الأسرع إلى إتباع هذا النبي.

- كان عرب المدينة (الأوس والخزرج) على عداء، فكان من ضمن أسباب مسارعتهم أن تتقوى على الأخرى.

الفصل الثالث
الهجرة وبناء الدولة الإسلامية

التآمر على قتل الرسول ﷺ:

انزعجت قريش من هجرة المسلمين وخافت أن ينضم محمد إلى أتباعه. فيقيم لهم مركزًا حصينًا هناك، فاجتمعت قريش في دار الندوة، وتشاورت في قتل الرسول ﷺ. فأشار أبو جهل باختيار شاب من كل قبيلة من قريش ومعه سيف ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل وتقبل بنو عبد مناف الدية، فاتفقوا على ذلك. فيحكي الله خبر هذه المؤامرة فيقول: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال: ٣٠].

مراحل الهجرة إلى المدينة:

الخروج من مكة:

جاء جبريل وأخبر النبي ﷺ بما اتفق عليه القوم، وأمره بالهجرة تجمع الكفار حول بيته، فخرج إليهم وذر التراب على رؤوسهم فغشيوا. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[يس: ٩].

ذهب الرسول ﷺ إلى أبي بكر وخرجا معًا. ونام عليٌّ مكانه، فلما استيقظ الكفار دخلوا فوجدوا عليًّا. مضى الرسول ﷺ وصاحبه إلى غار ثور، وجَدَّت قريش في طلبهما، حتى وصلوا إلى باب الغار. فقال أبو بكر: لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا، قال الرسول ﷺ: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما. لا تحزن إن الله معنا**». قال تعالى: ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾[التوبة: ٤٠].

كان عبد الله بن أبي بكر يأتيهما بالأخبار. وأسماء بنت أبي بكر تأتي بالطعام والشراب، ولبثا في الغار ثلاث أيام ثم سارا إلى المدينة.

قصة سراقة بن مالك:

جعلت قريش لمن يأتي بالرسول مائة ناقة، فجد الناس في طلبه، وكان منهم سراقة، وكان قصاص أثر، فوجد الرسول ﷺ ولما اقترب منهم، دعا عليه الرسول ﷺ، فغاصت قدما فرسه في الأرض. وتكرر ذلك، فقال: (إن الذي أصابني بدعائكما، فادعوا الله لي، ولكما أن أرد الناس عنكما)، فدعا له الرسول ﷺ. ووعده حينها بسواري كسرى، (وتحققت له هذه النبوءة بعد فتح فارس).

قصة أم معبد:

مروا بخيمة أم معبد الخزاعية، ولم يكن عندها طعامٌ أو شرابٌ. فمسح الرسول ﷺ بيده ضرع شاةٍ عازبة مريضة جاهدة، فتدفقت حليبًا فسقاهم وشرب، ثم واصلوا السير.

دخول الرسول إلى يثرب (سنة ١٣ من البعثة، ١هـ، ٦٢٢م):

كان الأنصار وهم الأوس والخزرج يترقبون وصول الرسول ﷺ بشوق. ولما وصل خرجوا إليه فرحبوا به، فما فرحوا بشيء كفرحهم به، نزل الرسول ﷺ بقباء خمسة أيام. فأسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس بعد النبوة. ثم ركب نحو يثرب، فلما دخلها بادر أهل كل حي من أحيائها بأخذ خطام راحلته، وهو يقول: «**خلوا سبيلها، فإنها مأمورة**» حتى بركت في موضع بني النجار، فنزل عند أبي أيوب، وأقام عنده.

وضع أسس المجتمع الإسلامي:

لم يقم المسلمون مجتمعًا إسلاميًا في مكة. لكونهم قلة مضطهدة، وبدأ الرسول ﷺ في المدينة بوضع هذه الأسس العظيمة لخير مجتمع يترقبه التاريخ.

وأهم أسس هذا المجتمع الجديد:

١ - بناء المسجد النبوي:

بركت الناقة عند موضع المسجد، فأمرهم ببنائه، وبنى معهم، وكان ينقل اللبن والحجارة بنفسه، وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وجعل عُمده الجذوع، وسقفه الجريد، وبنى حُجَر أزواجه إلى جانبي المسجد، فلما انتهي بنى بعائشة في شوال. وكان المسلمون يلتقون في هذا المسجد للعبادة والتعلم والقضاء والبيع والشراء والاحتفالات، وكان عاملًا كبيرًا في التقريب بينهم.

٢ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

آخى النبي بينهم، فاقتسموا البيوت والأموال، وكانت لهذه المؤاخاة قوة أخوة النسب، وبهذه المؤاخاة خلق الرسول ﷺ وحدة دينية بدل الوحدة القبلية.

٣ - معاهدة التعاون بين المسلمين وغير المسلمين:

كان بالمدينة ثلاث طوائف: المسلمون، والعرب الغير مسلمين، واليهود (بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع)، فوضع الرسول ﷺ معاهدة لضمان الأمن والسلام، ولخلق جو من التعاون والتسامح بين هذه الطوائف.

٤- وضع الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية:

الإسلام دين ودولة. فكان لزامًا وضع هذه الأسس، فاتجهت آيات كثيرة من القرآن في هذه الفترة إلى التشريع في كافة هذه الجوانب، كما شرح الرسول ﷺ كل ذلك بقوله وعمله[١].

فعاشت المدينة الحياة الفاضلة، السامية، فأخوة صادقة، وتكافل تام بين أفراد المجتمع. تكون بذلك أول مجتمع إسلامي وضع الرسول عليه السلام أسسه الخالدة.

(١) التاريخ الإسلامي/ أحمد شلبي.

الفصل الرابع
الجهاد في سبيل الله

سبب الجهاد والقتال:

لا توجد آية واحدة في القرآن الكريم، أو حادثة واحدة في تاريخ صدر الإسلام تشير إلى أن الإسلام انتشر بالقوة، أو أن القتال في الإسلام كان لحمل الناس على اعتناقه، وإنما كان القتال لرد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين.

بعد مضي ستة شهور من الهجرة، كان الرسول ﷺ قد وطد الجبهة الداخلية، ونظم أمورها، وبدأ يستعد للجبهة الخارجية، والقتال المنتظر.

تدرج الجهاد:

في البداية جاء الأمر للمسلمين بالكف والصفح عن المشركين، فلما قويت شوكتهم أذن لهم بالجهاد ولم يفرضه عليهم. قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[الحج:٣٩]. ثم فرض عليهم قتال من يقاتلهم. قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾[البقرة:١٩٠]. ثم فُرِض قتال المشركين كافة: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾[التوبة:٣٦].

يقول المؤرخون إن الرسول ﷺ اشترك في (٢٧) غزوة، وقاتل في (٩) منها، وأنه أرسل ما يقرب من (٦٠) سرية.

وسنكتفي هنا بالحديث عن الغزوات والسرايا ذات الأثر في سير الإسلام.

أول لواء في الإسلام[1]:

كانت بقيادة حمزة في (٣٠) مهاجرًا، وقد اعترضوا عيرًا لقريش، ولم يتقاتلوا، ثم بعث لواء بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، ثم لواء عليه سعد بن أبي وقاص. وكانت عير قريش تفوتها. وكان ذلك في عام (١ هـ).

الغزوات في عام (٢هـ/٦٢٣م):

غزوة الأبواء:

أول غزوة خرج فيها ﷺ بنفسه مع مجموعة من المهاجرين يعترض قافلة لقريش ففاتته، ثم خرج في غزوات بوط وودان والعشيرة لاصطياد قوافل قريش ففاتته كلها، وأبقى بعض الصحابة لانتظار عودة قافلة أبي سفيان العظيمة من الشام.

بعث عبد الله بن جحش:

بعثه الرسول ﷺ في (١٨) مهاجرًا إلى نخلة (بين مكة والطائف) يرصدون عير قريش، فمرت بهم عير، فقتلوا أميرها عمرو بن الحضرمي، وأسروا اثنين. واستولوا على القافلة، فكان ذلك أول قتل وأسر في الإسلام. فأنكره الرسول ﷺ لكونه في الأشهر الحرم. واشتد إنكار قريش، فقالوا: (أحل محمد الشهر الحرام)، فأنزل الله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾...الآية [البقرة:٢١٧].

(١) البداية والنهاية، ابن كثير (٣/ ٢٣٤).

وقعة بدر الكبرى (١٧ رمضان ٢هـ/ ٦٢٣م):

سبب المعركة:

كان لابد من هذه المواجهة بين محمد وصحبه وبين قريش فهو بالإضافة إلى تهديد أوثان قريش وزلزلة مكانتها الدينية، يهدد أيضًا تجارتها الصاعدة والهابطة بين مكة والشام.

وحدثت حادثة صغيرة كانت هي السبب المباشر لهذه المعركة. عادت قافلة أبي سفيان من الشام، فخرج الرسول ﷺ في (٣١٤) مهاجرًا لملاقاتها. فعلم أبو سفيان وحث قريشًا على إنقاذ قافلتهم. ولما علم الرسول ﷺ استشار الصحابة، فتكلم المهاجرون وأحسنوا فكررها، فعلم الأنصار أنه يعنيهم. فقال سعد بن معاذ: «امضِ بنا حيث شئت؛ فوالله لئن استعرضت بنا البحر لخضناه»، وتكلم غيره. فأشرق وجه الرسول ﷺ. وخرجوا. غيَّر أبو سفيان طريق القافلة فنجا. ولكن أبا جهل صمم على الخروج ومعه (٩٥٠) رجلًا. عسكروا في بدر، استنصر الرسول ﷺ ربه، وبالغ في التضرع ومما قال: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك. اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض بعد..**» فأنزل الله: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران:١٢٥]. ذكر الرسول ﷺ أصحابه بالصبر والثبات.

فعاليات المعركة ونتائجها:

ونشبت المعركة وقد بدأت بالمبارزة. أنزل الله ملائكته تقاتل مع المؤمنين. فنصر الله جنده، وقتل فيها أكابر صناديد قريش كأبي جهل، وأمية بن خلف، وعتبة وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة وغيرهم. فقتلوا سبعين وأسروا سبعين، واستشهد من

المؤمنين أربعة عشر. فقسَّم الرسول ﷺ الغنائم، وأما الأسرى فقد أشار عمر بقتلهم، وأشار أبو بكر بمفاداتهم، فأخذ الرسول ﷺ برأي أبي بكر، فنزل الوحي معاتبًا الرسول ﷺ، موافقًا لرأي عمر. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾[الأنفال:٦٧]. ونزلت سورة الأنفال في وصف هذه الغزوة.

أهمية غزوة بدر:

- كانت موقعة بدر ذات أثر كبير في إعلاء شأن الإسلام، فهي الغزوة الأولى التي انتصر فيها المسلمون انتصارًا حقيقيًا حاسمًا فكانت أساسًا متينًا لمستقبل الإسلام، ولذلك سماها القرآن (يوم الفرقان) لأنها فرقت بين الحق والباطل. فأعزت أهل الحق وأذلت أهل الباطل.

- وقد وضعت سورة الأنفال التي نزلت في هذه المعركة أدق التعاليم الإسلامية للحروب مثل: الاستعداد لملاقاة العدو، الوحدة وعدم التنازع، الثبات في المعركة، ذكر الله عند الشدائد خاصة.

- وهناك تشريعات إسلامية ارتبطت بغزوة بدر: كالمشورة، والتحذير من البحث عن الأهداف المادية في الحروب، والحرص على إعلاء كلمة الله، وتشريع توزيع الغنائم، لكل هذا كانت لغزوة بدر أهمية خاصة.

ظهور المنافقين:

ظهر المنافقون بعد معركة بدر، وعلى رأسهم عبد الله بن أبيّ بن سلول، واستمر عملهم الخفي ضد الإسلام.

خروج السرايا والغزوات:

خرج الرسول ﷺ أكثر من مرة بجيشه لمحاولة الاستيلاء على قوافل قريش، وتارة كان ﷺ يرسل سرايا لنفس الغرض.

غزوة بني قينقاع:

وهم من يهود المدينة. نقضوا العهد فهددوا المسلمين فحاصرهم الرسول ﷺ، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ثم استسلموا فأجلاهم عن المدينة دون سلاح.

من أحداث سنة (٢هـ):

شرع الأذان، فصار بلال هو مؤذن الرسول ﷺ، وفرض الصوم والزكاة. وصرف الله قبلة المسلمين من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وكان الرسول ﷺ يتمنى ذلك. قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾[البقرة:١٤٤]. ولم يعجب ذلك اليهود، فأخذوا يتقوَّلون على الرسول ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ﴾[البقرة:١٤٥]. كذلك قامت أغلب الحدود في هذه السنة، وفرض الله الحلال والحرام.

حوادث عام (٣هـ/٦٢٤م):

غزوة أحد في شوال (٣هـ):

كان سببها رغبة قريش في الانتقام لأنفسهم وأخذ الثأر لقتلاهم في بدر، خرج أبو سفيان في ثلاثة آلاف مقاتل، فعسكروا قريبًا من جبل أحد. فاستشار النبي صحبه، فأشار أكثرهم بالخروج، فخرج في ألف مقاتل، وأثناء الطريق انخذل المنافق ابن سلول

بثلث الجيش بحجة أن الرسول ﷺ لم يأخذ برأيه في البقاء داخل المدينة. فعسكر الرسول ﷺ عند جبل أحد (شمال المدينة) وجعله خلفه، وجعل على ربوة هناك في سفح الجبل خمسين راميًا بقيادة عبد الله بن جبير، وأمرهم بعدم النزول مهما حصل، ثم نظم الجيش، وأعطى اللواء لمصعب بن عمير.

قاتل أصحاب رسول الله ﷺ بشجاعة، وأبلى أبو دجانة (الذي أعطاه الرسول ﷺ سيفه)، وطلحة، وحمزة، وعليٌّ وغيرهم، فانتصر المسلمون في أول النهار مظهرين بطولة رائعة، وانهزم الأعداء. فنزل أكثر الرماة مخالفين أمر الرسول ﷺ لجمع الغنائم، فالتف خالد بن الوليد مع فرقة الخيالة من خلفهم، فكانت مفاجأة مفجعة حيث اضطرب المسلمون وعمهم الذعر، فأثخن الكفار فيهم، فاستشهد عدد منهم (أكثر من ٧٠) وولى البعض، وجرح الرسول ﷺ وكسرت رباعيته. وممن استشهد مصعب (حامل اللواء)، وحمزة بن عبد المطلب الذي قتله وحشي بحربة، وحنظلة بن أبي عامر، وكان جنبًا، فأخبر الرسول ﷺ أن الملائكة غسلته.

انسحب المسلمون بأمر الرسول ﷺ نحو الجبل انسحابًا منظمًا. ثم تحصنوا بهضبة عالية فعجز عنهم المشركون، فقال أبو سفيان: (إن موعدكم بدر العام المقبل). فقالوا له بأمر الرسول ﷺ: «هو بيننا وبينكم موعد». فكان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص اختبر الله المؤمنين، وفضح المنافقين، وأكرم من أراد بالشهادة.

ونزل تصوير هذه المعركة في سورة آل عمران. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران:١٣٩-١٤٠].

وقفة عند غزوة أحد:

إن هزيمة المسلمين في هذه المعركة أبرزت أنبل الصفات عندهم من ثبات وتضحية وصمود وعزيمة وإيمان وبطولة.

ووقف الرسول ﷺ كالطود الأشم لا يتزعزع، وعندما تجمع مقاتلو المشركين ضده، وقف سبعة من الأنصار يذودون عنه، وصارعوا صراعًا مريرًا حتى قتلوا جميعًا. وبرزت الكثير من الأدوار البطولية العظيمة.

غزوة حمراء الأسد:

بعد أُحد خرج الرسول ﷺ مع من اشترك في أحد في مكان حمراء الأسد (١٣ كيلو عن المدينة)، ليبين لليهود والأعراب ما يتمتعون به من معنويات عالية، فخافت قريش وعادت إلى مكة، وقد كانت تريد المدينة.

حوادث سنة (٤هـ/٦٢٥م):

- **يوم الرجيع:**

أرسل الرسول ﷺ ستة من الصحابة بأمرة مرثد الغنوي، إلى الأعراب بطلب منهم ليعلموهم الدين، فلما صاروا قريبًا من مكة. غدروا بهم وقتلوا أربعة. وباعوا الاثنين في مكة وهما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي حيث قُتِلا هناك.

- **حادثة بئر معونة:**

أرسل (٤٠) صحابيًا أميرهم المنذر بن عمرو إلى أهل نجد ليعلموهم الدين، فلما نزلوا في بئر معونة (جنوب شرق المدينة) هوجموا. وقاتلوا حتى استشهدوا جميعًا.

• **إجلاء يهود بني النضير:**

غدروا بعهدهم. وحاولوا قتل الرسول ﷺ. فحاصرهم حتى استسلموا فأجلاهم عن المدينة بدون سلاح. ونزلت فيهم سورة الحشر.

• **غزوة ذات الرقاع:**

خرج فيها إلى غطفان في نجد، وكانوا يريدون غزو المدينة. ولم يحصل قتال. وكان الغرض إرهاب الأعراب.

• **غزوة بني أسد:**

أرادوا غزو المدينة بقيادة طليحة بن خويلد. فأرسل لهم سرية إلى ديارهم، ففروا وغنم المسلمون.

• **تأديب هذيل:**

جمع خالد الهذلي الجموع لغزو المدينة (هذيل قرب مكة) فأرسل له الرسول من يقتله، فقُتِل، وانفضت جموعه وانتهى أمره.

• **غزوة بدر الآخرة:**

خرج أبو سفيان بثلاث آلاف مقاتل (حسب الموعد المحدد) ورغب في نفسه عدم القتال. وخرج الرسول ﷺ في ألف وخمسمائة. فخافت قريش وعادت. فكانت هي المتحدية وهي الفارة.

• **غزوة دومة الجندل:**

هاجمهم الرسول ﷺ تأديبًا لهم، ففروا وتركوا الغنائم للمسلمين.

حوادث عام (٥هـ):

• غزوة المريسيع (بني المصطلق):

أراد بنو المصطلق غزو المدينة، فغزاهم الرسول ﷺ وملك ديارهم وأموالهم ونسائهم. ثم تزوج الرسول ﷺ جويرية بنت الحارث (بنت زعيم القوم) فأطلق المسلمون أسراهم. وقالوا: «أصهار رسول الله ﷺ». بعد هذه الغزوة حصلت حادثة الإفك في شأن عائشة، فأنزل الله براءتها.

• غزوة الأحزاب (الخندق) سنة (٥هـ/ ٦٢٦م):

تجمعات قصد منها القضاء على الإسلام والمسلمين. خرجت قريش وغطفان إلى المدينة في أكثر من عشرة آلاف بتحريض من اليهود في خيبر، فاستشار الرسول ﷺ أصحابه. فأشار سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة لحمايتها. (وكان عدد المسلمين ٣٠٠٠) واستمر الحصار شهرًا. ونقضت بنو قريظة العهد واتفقت مع الأحزاب. أسلم حينها نعيم بن مسعود الغطفاني، واتفق مع الرسول ﷺ على تفريق الأحزاب. فخرب بين قريظة وقريش وغطفان بحيلة بارعة فبين لكل فريق أن الآخر ضده، فتفرقوا، ثم أرسل الله على المشركين جندًا من الريح فقوضت خيامهم، وأكفأت قدورهم ففروا. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[الأحزاب:٩].

وكان هذا آخر هجوم منظم على المدينة. إذ أصبح المسلمون بعدها هم الأقوياء والأسياد.

• **غزوة بني قريظة**[1]:

نقضوا عهدهم وغدروا في أحرج الأوقات فحالفوا قريشًا في الأحزاب، فحاصرهم بعد غزوة الخندق حتى استسلموا، فحكَّم الرسول ﷺ فيهم سعد بن معاذ، وكان حليفهم في الجاهلية. فحكم بقتل رجالهم، وسبي نسائهم وذراريهم، وهذا يتناسب جدًا مع عظم جريمتهم. فقال له الرسول ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات**».

• **تأديب الأعراب:**

بعد الانتهاء من قريش واليهود، بقي العدو الثالث وهم الأعراب. وهؤلاء أرسل إليهم الرسول ﷺ العديد من السرايا، أرعبتهم وكفَّت شرهم، وأذاهم للمسلمين.

حوادث عام (٦هـ/٦٢٧م)[2]:

• **صلح الحديبية وبيعة الرضوان:**

خرج الرسول ﷺ بـ(١٥٠٠) من أصحابه، يريد العمرة، ونزل الحديبية، وفزعت قريش. بعث إليهم عثمان يخبرهم قصده. ثم أشيع أن عثمان قتل، فدعا الرسول ﷺ إلى البيعة، فتبادر إليه أصحابه وهو تحت الشجرة (لذا سميت بيعة الشجرة أو بيعة الرضوان)، بايعوه على ألا يفروا، ثم عاد عثمان، فتصالح الرسول ﷺ مع قريش.

وتم الاتفاق على هدنة عشر سنوات بينهم. وأن من يأتي محمدًا من قريش يرده إليهم، ومن جاء قريش من محمد لا يردوه، ومن أراد عهد محمد دخله، ومن أراد عهد قريش دخله. (فدخلت خزاعة في عهد محمد وبكر في عهد قريش)، وأنهم سيعودون العام القادم لأداء العمرة. وفي الطريق أنزل الله سورة الفتح، فبشرهم الرسول ﷺ بفتح مكة.

---

(١) السيرة، ابن هشام (٣/ ٢٥٢).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٦٣).

وقفة عند صلح الحديبية:

كثير من الصحابة امتعض من هذا الصلح واستاء لهذه النتيجة. وعد نفسه مغلوبًا ذليلًا، ومن بينهم عمر بن الخطاب. على أن المدقق المنصف يدرك أن هذه المعاهدة كانت عظيمة الخير للمسلمين. كبيرة النفع لهم. ومن مزاياها:

- اعتراف قريش بكيان المسلمين.
- إعطاء المسلمين فرصة لنشر الدعوة والتفرغ لها.
- دخول خلق كثير في الإسلام بعد هذا الصلح (من هؤلاء بعض عظماء قريش كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة). كذلك أرسل الرسول ﷺ للملوك والحكام يدعوهم للإسلام.
- أعطت هذه المعاهدة للمسلمين فرصة ليفرغوا لليهود، لذا غزا الرسول ﷺ بعدها خيبر، وانتصر واكتملت معظم التشريعات الإسلامية خلال هذه الفترة.
- أما شرط إعادة من يسلم من قريش إلى قريش. ولا تلتزم قريش برد من يعود لها من المسلمين، فذاك وضحه الرسول ﷺ بقوله: «**إن من ذهب منا إليهم فقد أبعده الله. ومن جاءنا منهم فرددناه، فسيجعل الله له فرجًا ومخرجًا**». وهكذا كان هذا الصلح فتحًا مبينًا كما وصفه القرآن الكريم.

دعوت الملوك والحكام إلى الإسلام:

رأى الرسول ﷺ أن الوقت أصبح مناسبًا لذلك، فاليهود انتهوا، وقريش في هدنة معه، والأعراب لا بد من غزو ديارهم باستمرار، فكتب الكتب وأرسل الرسل إلى:

- هرقل إمبراطور الروم، والمقوقس حاكم مصر، وقد خافا على ملكهما منه.

- المنذر بن ساوي حاكم البحرين، النجاشي ملك الحبشة، الحارث الحميري حاكم اليمن، وملكي عمان جيفر وعياد ابنا جلندي، وهؤلاء دخلوا في الإسلام.

- الحارث بن أبي شمر ملك الغساسنة بالشام، وقد قتل رسول رسول الله ﷺ وسب المسلمين وهدد بغزو المدينة.

- كسرى ملك الفرس، وقد غضب ومزق الخطاب. فدعا عليه الرسول ﷺ، فمزق الله ملكه.

حوادث عام (٧هـ/٦٢٨م):

• غزوة خيبر:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[المائدة:٨٢]، برهنت الأحداث طوال القرون على شدة عداوة اليهود للمسلمين، حتى عندما أحسن المسلمون إليهم.

كانت خيبر (في شمال المدينة) من أقوى حصون اليهود وأخطرها. وكان خطرهم محدقًا على المدينة.

وكان يهود خيبر حرضوا على غزو المدينة، وجمعوا الأحزاب في غزوة الخندق، سار إليهم الرسول ﷺ، وحاصرهم، حتى استسلموا، فصالحهم على شطر ثمرها وزرعها، قالت عائشة: «**لما فتحت خيبر، قلنا: الآن نشبع من التمر**»، بعد الغزوة أهدت زينت بنت الحارث اليهودية للرسول ﷺ شاةً مسمومة، فأشعره الله بذلك فكف عنها، وأكل منها بشر بن البراء، فمات فقتلها الرسول ﷺ قصاصًا، كان ذلك في محرم سنة (٧هـ).

ثم أخضع يهود وادي القرى على شطر نخيلهم. وقبل الفدية من يهود فدك ويهود تيماء، وعدهم ذميين.

بعد خيبر أصبح المسلمون أكبر قوة في جزيرة العرب، كما انكسرت بذلك شوكة اليهود، وإن كانت لم تزل نهائيًا.

• **عمرة الحديبية:**

خرج الرسول ﷺ مع أصحابه لأداء العمرة حسب صلح الحديبية، وكان عددهم (٢٠٠٠) فيسرها الله لهم، فقاموا بأدائها وعادوا بسلام وطمأنينة.

حوادث عام (٨هـ/٦٢٩م):

إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص: قدما إلى الرسول ﷺ في المدينة ومعهما عثمان بن طلحة، فأسلموا على يديه، وفرح الرسول ﷺ كثيرًا بإسلامهما، وصارا بعد ذلك من أعظم قواد الفتوحات الإسلامية.

• **غزوة مؤتة:**

سبب الغزوة:

قتل الغساسنة (عمال الروم) دعاة المسلمين إلى الشام، وقتلوا الحارث بن عمير رسول رسول الله ﷺ إليهم. وهدد ملكهم الحارث الغساني بغزو المدينة. فأراد الرسول ﷺ أن يعطي الروم وعملائهم الغساسِنة الصورة الحقيقية عن قوة المسلمين وأهدافهم.

سير المعركة ونتائجها:

أهمية المعركة:

أحس المسلمون أن هناك عدوًا عنيدًا في الشمال، وأن الإسلام لا أمن له إلا بالقضاء على هذا العدو. وكانت هذه أول حلقة في النضال للفتوحات الإسلامية خارج جزيرة العرب.

أرسل الرسول ﷺ جيشًا قوامة (٣٠٠٠) مقاتل يقودهم زيد بن حارثة، فإن قتل فالأمير جعفر بن أبي طالب، وإن أصيب فعبد الله بن رواحة. فنزلوا في معان (شمال الجزيرة العربية على حدود الشام). وقدم الروم في مائة ألف مقاتل وحلفائهم قضاعة في مائة ألف، فتشاور المسلمون ورأى الأغلبية القتال وعدم الانسحاب، استمر القتال سبعة أيام، وقتل القواد الثلاثة واستشهد عدد كبير من المسلمين، فتولى القيادة خالد ابن الوليد، فانسحب بالجيش انسحابًا منظمًا. وقد أثنى عليهم الرسول ﷺ ودعا لهم.

• **معركة ذات السلاسل**[1]:

انزعج الروم من قوة المسلمين، فأرادوا القضاء عليهم في عقر دارهم، وكلفوا حليفتهم قضاعة بذلك، فأرسل لهم الرسول ﷺ (٣٠٠) مقاتل بقيادة عمرو ابن العاص، وبينهم من كبار الصحابة، ثم أمدهم بـ (٢٠٠) بأمرة أبي عبيدة ابن الجراح. التحم الفريقان ففرت قضاعة، رغم جموعهم الهائلة، ومساعدات الروم لهم.

• **غزوة فتح مكة (رمضان ٨هـ/ ٦٢٩م):**

ظروف مهدت لفتح مكة:

- القضاء على اليهود خلال فترة الهدنة والصلح. وقد كانوا أكبر نصير لقريش.
- امتداد نفوذ المسلمين وإحاطته بمكة من كل جانب.
- ورأت قريش نفسها تقف وحيدة ضد كل العرب. إضافة إلى انهيار تجارتها.
- كما أن أحوال قريش تغيرت، فقد هلك كبار صناديدها. ودخل كثير من أبطالها المغاوير في الإسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

(١) السيرة، محمود شاكر (ص ٣٣٧).

كل هذه الظروف فتت من عضد قريش وجعلتها تيأس من النصر.

تعدت قبيلة بكر (حليفة قريش) على خزاعة (كانت حليفة الرسول ﷺ ثم أسلمت كاملة)، فأعانت قريش حليفتها، فنقضت بذلك صلح الحديبية، فاستنجدت خزاعة بالرسول ﷺ فخافت قريش، وأرسلت زعيمها أبي سفيان ليعتذر ويطيل مدة الهدنة ففشل وعاد خائبًا. وأمر الرسول ﷺ المسلمين بالجهاز لفتح مكة.

كتب الصحابي حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يعلمها وأرسل الرسالة مع امرأة فأخبر الله رسوله بذلك. فكلف عليًا والزبير فعادا بالكتاب. فاعتذر حاطب، وأخبر الرسول ﷺ أنه فعل ذلك ليتخذ عندهم يدًا فلا يؤذوا أهله، فسامحه، لأن حاطبًا من أهل بدر.

فمضى المسلمون (وهم أكثر من عشرة آلاف مقاتل) وعسكروا قرب مكة، وقدم أبو سفيان زعيم قريش إلى الرسول ﷺ وأسلم فأعلن الرسول ﷺ قائلًا: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل في المسجد فهو آمن**» ولم يسمح له بالمغادرة حتى رأى مواكب الجيوش الإسلامية.

ثم دخل الرسول ﷺ في مكة من أعلاها وهو واضعًا رأسه تواضعًا لله بما أكرمه. ولم يلق المسلمون مقاومة تذكر. واستسلمت مكة فدخل الرسول ﷺ المسجد وحوله المسلمون، فطاف وفي يده قوس، وحول البيت أكثر من (٣٦٠) صنم، فجعل يطعنها ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل**» والأصنام تتساقط على وجوهها، فالتفت إلى أهل مكة وقال: «**يا معشر قريش. ما ترون أني فاعل بكم**» قالوا: خيرًا. أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» (وهذا منتهى العفو والتسامح والكرم من الرسول ﷺ) ثم بايعته قريش، وأسلمت كلها. وأمر الرسول ﷺ بقتل نفر ولو تعلقوا بأستار الكعبة، فقتل بعضهم وأسلم البعض، ثم أرسل الصحابة لهدم الأصنام في مكة وحولها.

أهمية فتح مكة:

استسلام مكة مهد الطريق لاستسلام الجزيرة العربية كلها. فقد أصبح المسلمون سادة الكعبة وحماة البيت الحرام. ووصلت سيرتهم الطيبة إلى كل مكان. فكان ذلك مطلع عهد جديد سعيد على الإسلام والمسلمين، وكان هدف الرسول ﷺ بعد فتح مكة تطهير الجزيرة كلها من أعداء الإسلام، وخلق وحدة إسلامية موحدة مترابطة. وهذا ما تحقق.

- **غزوة حنين:**

خضعت أغلب الجزيرة العربية لنفوذ الإسلام. ولم يبق خارجًا عليه إلا قبائل هوازن وثقيف (بين مكة والطائف) وكان لابد من المواجهة بينهم وبين المسلمين.

بعد ما سمعت هوازن بفتح مكة، خرجت لقتال الرسول ﷺ بقيادة مالك بن عوف ومعهم نسائهم وأموالهم لكي يستميتوا في الدفاع عنهم، فخرج إليهم الرسول ﷺ في (اثني عشر ألف مقاتل). فاغتر المسلمون يومها بكثرتهم وقالوا: «لن نغلب اليوم من قِلّة»، فنشب القتال في حنين، حيث انقض الكفار على المسلمين من الشعاب والمرتفعات، فاضطرب المسلمون وتفرقوا وانهزموا، ولم يثبت إلا قلة مع الرسول ﷺ. فنادى الرسول ﷺ: «**يا أصحاب بيعة الرضوان، يا للأنصار**».

فاجتمعوا وثبتوا حتى انتصروا وانهزم الأعداء، وتركوا أموالهم ونسائهم وفروا إلى الطائف وتحصنوا بها مع ثقيف، وكانت غنائم هائلة. وأعطى الرسول ﷺ المؤلفة قلوبهم الكثير منها، ومنهم أبو سفيان وأبنائه.

فكانت حنين درسًا لمن قال: (لن نغلب اليوم من قِلّة). قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[التوبة:٢٥-٢٦].

• **غزوة الطائف:**

وهي امتداد لغزوة حنين، حيث سار الرسول ﷺ إلى الطائف لقتال هوازن وثقيف، وكانت حصونهم منيعة جدًا، ومؤنهم كثيرة. فلم يأذن الله بفتحها، وطال حصارها، فدعا الرسول ﷺ قائلًا: اللهم اهد ثقيفًا وأت بهم مسلمين. وعاد بعدها للمدينة.

وبعد زمن قصير أسلمت هوازن وأسلم زعيمها مالك بن عوف، ورد لهم الرسول ﷺ أموالهم وسباياهم. وبعد غزوة تبوك أرسلت ثقيف وفدها معلنة إسلام أهل الطائف.

أهمية غزوة حنين والطائف:

بعد هذه الغزوة أصبحت الجزيرة العربية لأول مرة في التاريخ دولة متحدة قوية، ولها مبادئ وحضارة.

حوادث عام (٩هـ/٦٣٠م):

• **غزوة تبوك:**

سبب الغزوة: تناهى إلى الرسول ﷺ أن الروم جمعت جموعها الهائلة بالشام لغزو المدينة، والقضاء على الإسلام والمسلمين. فأمر الناس بالتجهز للخروج، وسمى ذلك الجيش بجيش العسرة لجدب الأرض وشدة الحر، حتى إن المنافقين أعلنوا نفاقهم

وتخلفوا عن ركب الجيش، وأنفق المسلمون بسخاء على هذا الجيش، فجهز عثمان نصف الجيش لوحده، وتصدق أبو بكر بكل ماله، وتصدق عمر بنصف ماله، فخرج الرسول ﷺ إلى تبوك، وكان تعداد الجيش ثلاثين، وقيل أربعين، وقيل سبعين ألف مقاتل. ولم يجد أثرًا للروم، فقد ارتاعوا وتقهقروا إلى داخل بلادهم مدافعين. وعسكر الرسول ﷺ بجيشه عند تبوك حيث أرهب الأعداء، ثم آتاه أهل آيلة وجربا وأذرح وأعطوه الجزية، وعاد للمدينة بعد بضع عشرة ليلة، وكانت آخر غزوة غزاها الرسول ﷺ بنفسه.

خبر المتخلفين (عن غزوة تبوك):

في غزوة تبوك كانت قصة تخلف كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال ابن أمية، وهم ممن شهدوا بدرًا. ولم يكن لهم عذر في التخلف، فقاطعهم الرسول ﷺ والمسلمون حتى أنزل الله فيهم: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾... ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[التوبة:١١٧-١١٨].

وفود العرب (عام الوفود):

أنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾[النصر: ١- ٣].

بعد إسلام قريش -وهي سيدة القبائل- أرسلت القبائل العربية وفودها إلى الرسول ﷺ لإعلان إسلامها، وسمي ذلك العام (٩هـ) عام الوفود.

وهكذا عمت الدعوة الإسلامية شبه الجزيرة العربية، ونعم محمد ﷺ بأن رأى زرعه يثمر، ودين الله ينتشر على يديه.

حجة (٩هـ):

بعث الرسول ﷺ أبا بكر أميرًا على الحج، ونزلت سورة براءة (التوبة) لتحديد ما بين الرسول ﷺ والمشركين من عهود، فأعلن أنه لا يحج بعد العام مشرك. ومن له عند الرسول ﷺ عهد فهو إلى مدته.

حوادث عام (١٠هـ/٦٣١م):

حجة الوداع:

حج الرسول ﷺ بالمسلمين في هذه السنة (وهي حجته الوحيدة) وخرج معه قريبًا من مائة ألف حاج، فعلم الناس مناسكهم وسنن حجهم وهو يقول: «**خذوا عني مناسككم فلعلكم لا تلقوني بعد عامكم هذا**» وخطب خطبته التي بين فيها منهاج المسلمين. ومنها: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم**»، ومنها: «**إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا، كتاب الله وسنتي**»، ومنها: «**أيها الناس إن ربكم واحد. وأباكم واحد. كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**»، وعاد بعدها للمدينة وبدأ به مرض الموت[1].

حوادث عام (١١هـ/٦٣٢م):

بعث أسامة بن زيد:

جهز الرسول ﷺ جيشًا لقتال الروم في البلقاء (الأردن)، بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة (وعمره ١٨ عامًا) وفي الجيش كبار الصحابة، ولم يخرج الجيش لمرض الرسول ﷺ.

(١) مختصر السيرة/ محمد بن عبد الوهاب (ص ١٦٥).

مرض الرسول ﷺ ووفاته:

بدأ به الوجع والحمى، فاستأذن نسائه أن يُمَرّض في بيت عائشة، فأذنّ له، وفي آخر مرة صعد فيها المنبر، كان مما قاله: «**أوصيكم بالأنصار خيرًا. فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم. فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**». ولما اشتد به المرض قال: «**مروا أبا بكر، فليصلِّ بالناس**».

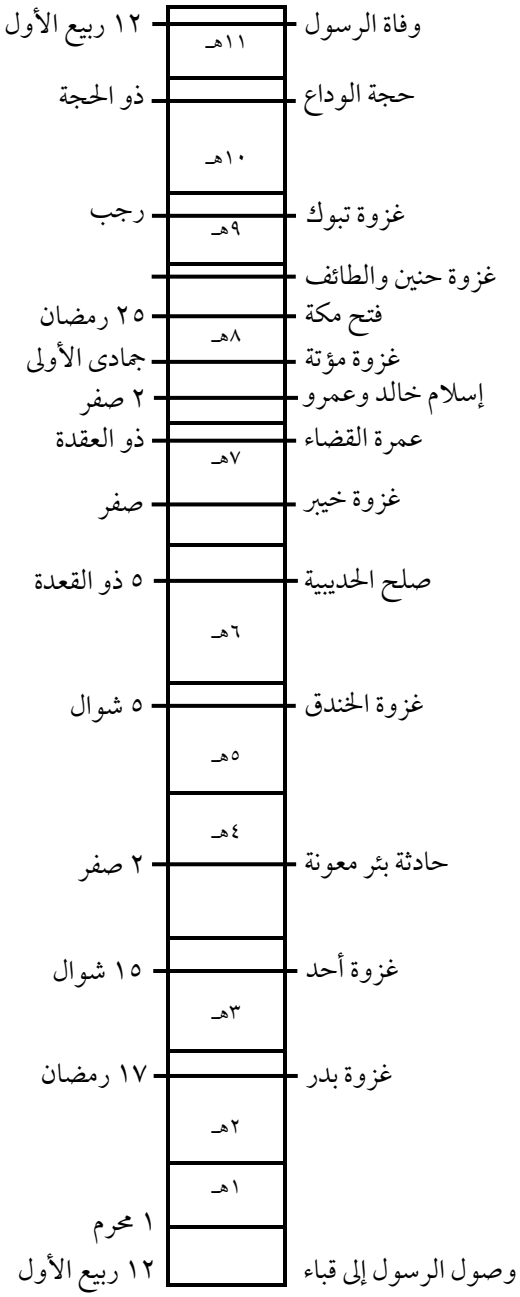
ثم تُوفي في ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام (١١هـ/ ٦٣٢م)، وكان عليه السلام في الثالثة والستين من عمره.

وأصاب المسلمين حزن عظيم. ولم يصدق عمر بموت الرسول ﷺ، فخطب فيهم أبو بكر وقال: «**يا أيها الناس إنه من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات. ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت**». ثم تلا ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[آل عمران:١٤٤]. فأفاق الناس، وأفاق عمر حتى إن عمر قال: «**والله ظننت أنه ليس في القرآن هذه الآية حتى ذكرنيها أبو بكر**».

أسس الرسول ﷺ الدولة الإسلامية الأولى في المدينة. وقامت هذه الدولة على أسس العدل والمساواة والحب والتكافل الاجتماعي التام، فاكتمل منهجها، وضبط نظامها، الذي يجب أن يسير المسلمون على خطاه.

جزى الله محمدًا ﷺ لقد كان نفحة سماوية أمدها الله بالتأييد، وحباها كريم الصفات ونبيل السجايا. ومنح العالم على يده دينًا جديرًا بأن يكون خاتم الأديان لما يكفله للبشرية من تنظيم أمور الدين والدنيا[1].

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي/ د. أحمد شلبي (١/ ٣٦١).



عمود الأحداث في عصر الرسول (منذ هجرته إلى وفاته)